كما في الاوتار والمزمار وسائر الاصوات التي لا تفهم الوجه الخامس ان الالحان الموزونة تعضد وتؤكد
بايقاعات واصوات اخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لان الوجد
الضعيف لا يستثار الا بسبب قوي وانما يقوى بمجموع هذه الاسباب ولكل واحد حظ في
التاثير وواجب ان يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لان صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو
والقرآن جد كله عند عامة الخلق فلا يجوز ان يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته
صورة اللهو عند الخاصة وان كانوا لا ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر القرآن فلا يقرا
على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفا بحق
حرمة القرآن في كل حال فيعدل الى الغنا الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك
لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب
الدف في العرس وقال اظهروا النكاح ولو بضرب الغربال او بلفظ هذا معناه وذلك جائز
مع الشعر دون القرآن ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ
وعندها جوار يغنين فسمع احداهن تقول ⁂ وفينا نبي يعلم ما في غد ⁂
على وجه الغنا فقال صلى الله عليه وسلم دعي هذا وقولي ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة
فزجرها عنها وردها الى الغنا الذي هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فاذن
يتعذر بسببه تقوية الاسباب التي بها يصير السماع محركا للقلب فواجب في الاحترام
العدول الى الغنا عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة الى الغنا
الوجه السادس ان المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال المستمع فيكرهه وينهاه عنه
ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ فربما
يقرا آية لا توافق حالهم اذ القرآن شفا للناس كلهم على اختلاف الاحوال فآيات الرحمة
شفا الخائف وآيات العذاب شفا المغرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فاذن
لا يؤمن ان لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فتتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى
من حيث لا تجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب اذ لا تجد
الخلاص عنه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى الا على ما اراده الله
واما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة او خطر التاويل
الخطا لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك هذا ما انقدح لي

في

١٤٣

في علة انصراف الشيوخ الى سماع الغنا عن سماع القرآن في حالة الجمع والاوقات وههنا وجه سابع
ذكره ابو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق
لا تطيقه البشرية لانه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه
وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة الحظوظ والشعر
نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات من الاشارات
واللطائف شاكل بعضها بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة المخلوق
ما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات
الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقا هذه الحظوظ الى القصائد اولى من انبساطنا الى كلام الله
الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدا واليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره وقد حكي عن ابي الحسين
الدراج انه قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت
الري كنت اسال عنه فكل من سالته قال ايش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت
على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا اقل من ان اراه
فلم ازل اسال عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المحراب وبين يديه رجل بيده مصحف
وهو يقرا واذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت فاقبل علي وقال من اين فقلت
من بغداد فقال وما الذي جاء بك فقلت قصدتك للسلام عليك فقال لو ان في بعض
هذه البلدان قال لك انسان اقم عندنا حتى نشتري لك دارا وجارية كان يقعدك ذلك
عن المجي فقلت ما امتحنني الله بشي من ذلك ولو امتحنني ما كنت ادري كيف اكون ثم قال
لي تحسن ان تقول شيا فقلت نعم فقال هات فانشات اقول

رايتك تبني دايبا في قطيعتي ... ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
كاني بكم والليت افضل قولكم ... الا ليتنا كنا اذ الليت لا يغني

قال فاطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه
ثم قال يا بني تلوم اهل الري يقولون يوسف زنديق من صلاة الغداة هو ذا اقرا في المصحف
لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت علي القيامة بهذين البيتين فاذن القلوب وان
كانت محترقة في حب الله عز وجل فالبيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن
وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1